

## الإسرائيليات ودورها في إفساد التصور الإسلامي



### رؤية تفسيرية نقدية

د. رضوان جمال الأطرش ❁

#### مقدمة :

بعد أن قبض النبي ﷺ وانقضى جيل الصحابة، وجاءت الفتوحات الإسلامية بالآلاف من الأعاجم، ودخل الناس من مختلف الطوائف اليهودية والنصرانية في دين الله أفواجاً، وحملوا معهم مخلفات معتقداتهم القديمة، التي لم يكن من السهل عليهم التخلص منها، ولم تسعفهم معرفتهم المحدودة بالعربية في تفهم القرآن، أو إدراك نظمه وسر إيجازه ومجازه، وتقديمه وتأخيرته، واستعاراته وإشاراتة. وأخذوا يتعاملون مع القرآن من خلال منهج جديد، مخالف لمنهج الصحابة الذين كانوا يحرصون فيه على الجمع بين العلم والعمل، أهم معالمه المجردة فضول زائد

❁ قسم دراسات القرآن والسنة ، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

للتعرف على طبيعة المواضيع القرآنية ومعرفة مدى اتفاق أو اختلاف ذلك عما كانوا يعتقدونه وما يتصورونه من أفكار. وعزز هذا كله اختلاف القيادات السياسية بمناهجها ورؤاها عما تعود الناس عليه في زمن النبوة، فلم تكن لديهم اهتمامات قرآنية أخصها التبيين، والتفهم للناس إذا اختلفوا حول آيات القرآن وسوره، الأمر الذي جعل الناس يأخذون على عاتقهم مسؤولية التبيين القرآني، وانفتح الباب أمام ما أطلق عليه "علوم القرآن"، وعكفت بعض الجماعات على تفسير وتأويل آيات القرآن كل من زاويتها الخاصة، وانتهج بعضهم نهجاً غريباً في تفسير كتاب، وهو الرجوع إلى الكتب الإلهية القديمة، وبوجه خاص التوراة وما كان بين يدي أهل الكتاب من أقاصيص وروايات مليئة بالتفاصيل، وجعلها مصدراً من مصادر التفسير في تلك الحقبة. ذلك أن منهج القرآن في عرض القصص ينحو منحى الاختصار الذي يمس الجوهر والعظمة والعبرة، وليس مهتماً بعرض التفاصيل والجزئيات الدقيقة كالتوراة والإنجيل.

من جهة أخرى، لم يجد هؤلاء القصاص حرجاً من التصريح في ذلك، لما رووه من أحاديث لا تحرم ذلك، بل لقد رووا ما أخرجه الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من

النار" <sup>١</sup> يقول ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: "لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار" <sup>٢</sup>. وأورد عدة تفسيرات لقوله ﷺ: "ولا حرج" اخترت منها الآتي:

معنى قوله "لا حرج": "أي لا تضيق صدوركم بما تسمعونهم عنهم من الأعاجيب، فإن ذلك وقع لهم كثيراً. وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح. وقيل: المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه" <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. وانظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، حديث رقم: 5850. انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ج ٣، ص ١٢٧٥. كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

<sup>٢</sup> أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري في صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ) ج ٦، ٤٩٨. كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله عن باب ما ذكر عن بين إسرائيل.

<sup>٣</sup> ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله عن باب ما ذكر عن بين إسرائيل، ج ٦، ص ٤٩٨.

وأورد قولين للإمام مالك والشافعي مبرزاً وجهة نظرهما في قوله ﷺ "ولا حرج":

"قال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجوز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه"<sup>١</sup>.

وعلى كل، فالخطورة في المسألة تتمحور في أن معظم الذين قاموا بالتحديث عن بني إسرائيل، لا ورع لديهم، ووسمهم الناس بالقصاص الذين كان أكثر اعتمادهم على علماء اليهود أو من ظن أنهم علماء بالتوريق القص، وربما لم يكونوا من العلماء بل من الذين يجرّ فون الكلم عن مواضعه، ويزيدون على ما يسمعون كالشياطين الذين كانوا يسترقون السمع، فيزيدوا على الحقيقة مئات الأخبار الواهية، واعتبروا هؤلاء كمصادر للتفسير، وشنفت الأذان لهم، حتى لتجد كتب التفسير محشوة بتفاصيل هذه القصص لم

<sup>١</sup> ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله عن باب ما ذكر عن بين إسرائيل، ج ٦، ص ٤٩٨-٤٩٩.

يذكرها القرآن، ولكنها مأخوذة عن هؤلاء مما اشتهرت تسميته  
"بالإسرائيليات".

وبعض هذه الإسرائيليات التي نقلها القصاص تجدها معزوة إلى أشهر  
الصحابة كابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين<sup>٢</sup>، وهو الذي أطلق عليه  
ابن مسعود ترجمان القرآن<sup>٣</sup>، وهو الذي دعا له رسول الله ﷺ بأن يعلمه الله

<sup>١</sup> هو عبد الله بن عباس . رضى الله عنهما . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وحنكه النبي ﷺ بريقه ودعا له بقوله : " اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل " فعنه رضى الله عنه وعن أبيه قال: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة" الحديث أخرجه البخاري في صحيحه. انظر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، باب: ذكر ابن عباس رضى الله عنهما، (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ج٣، ص١٣٧١. وعنه أيضاً قال: دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين" رواه النسائي في السنن الكبرى، انظر: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ج٥، ص٥٢. رقم الحديث: ٨١٧٨.

<sup>٢</sup> من التابعين من أكثر من رواية الإسرائيليات كسعيد بن جبير، ولكنه كذلك اعتنى بالأحكام والغيبيات. ومتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً، فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين: لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى. ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين.

<sup>٣</sup> كان ابن مسعود يقول: «هم ترجمان القرآن ابن عباس» صححه ابن حجر. انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، دت) ج٧، ص١٠٠.

الحكمة<sup>١</sup> والتأويل، مما يوهم روايتها عن الرسول ﷺ وما هي كذلك، وإنما كان مصدرها اليهود الذين أسلموا، ونصبوا من أنفسهم أو نصّب منهم المسلمون معلّمين مخبرين، مما لم يذكره القرآن من تفاصيل دقيقة عن القصص.

ومهما يكن من أمر، فإن استغلال اسم علم تفسيري كابن عباس، ساهم في دقّ التصور الإسلامي بإسفين ضخّم موجع، وشوّه الصورة الجميلة لتصورنا الإسلامي تجاه الخالق والخلق، لشبهه الرفع إلى الرسول الكريم ﷺ. ولهذا يقول أبو شهبة منبهاً على خطورة رفع الإسرائيليات إلى النبي ﷺ: "لو أنّ هذه الإسرائيليات جاءت مروية صراحة عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه أو عبد الله بن سلام وأضرابهم لدلت بعزوها إليهم أنّها مما حملوه، وتلقوه عن كتبهم، ورؤسائهم، قبل إسلامهم، ثم لم يزالوا يذكرونه بعد إسلامهم، وأنّها ليست مما تلقوه عن النبي أو الصحابة، ولكانت تشير

<sup>١</sup> حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ضمّني رسول الله ﷺ، وقال: "اللهم علمه الحكمة". انظر محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) باب: مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، ج ٥، ص ٦٨٠.

بنسبتها إليهم إلى مصدرها، ومن أين جاءت وإن الرواية الإسلامية بريئة منها<sup>١</sup>.

ثم أكمل قوله: ولكنَّ بعض هذه الإسرائيليات . بل الكثير منها . جاء موقوفاً على الصحابة ومنسوباً إليهم ﷺ فيظن من لا يعلم حقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنّها متلقاة عن النبي ﷺ لأنّها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها، فلها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ ولم تكن مرفوعة صراحة<sup>٢</sup>.

ومن الملاحظ أن عامة ما يُروى عن ابن عباس<sup>٣</sup> في التفسير ضعيف. وما صح عنه غالبه عن تلامذته المشهورين<sup>٤</sup>، روى السيوطي في إتقانه عن الشافعي قال: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمئة حديث"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> محمد بن محمد أبو شعبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (القاهرة: مكتبة السنة، ط٤)، ١٤٠٨هـ) ص ٩٤.

<sup>٢</sup> أبو شعبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ٩٤-٩٥.

<sup>٣</sup> أن الدافع لابن عباس على التوسع في ذلك حديث حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. وكان يكثر من سؤال كعب الاحبار.

<sup>٤</sup> تلاميذه: مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبر، وطاووس. أظهر أن مراد الشافعي المرفوعات المسندة، أما الموقوفات فنسخة علي بن أبي طلحة نحو ألفي حديث. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م) ج ٢، ص ٤٩٨. وانظر: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في

وقد أشار الذهبي في "التفسير والمفسر" إلى سبب كثرة الوضع على ابن عباس رضي الله عنه في التفسير بقوله: "ويبدو أن السر في كثرة الوضع على ابن عباس هو أنه كان في بيت النبوة، والوضع عليه يُكسب الموضوع قبولاً وثقةً وشهرة وقوةً أكثر مما لو كان من غيره. أضف إلى ذلك أن ابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، وكان من الناس من يتزلف إليهم ويتقرب منهم بما يرويه لهم عن جدهم".<sup>١</sup>

نتيجة لذلك، فقد امتلأت كتب التفاسير بهذه المرويات والأقاصيص الطاعنة في تصورنا الإسلامي للدين والحياة، حتى وأنت تقرأها تجد أن القصد من قراءتها هو مجرد نشر مادتها فحسب، دون أن تكون مادة تفسيرية لآيات القرآن الحكيم. والمصيبة أن تكون وسيلة النشر كتب التفاسير، ولن تجد وسيلة إعلامية يمكن أن تؤثر في الرأي العام والتصور الإسلامي أكثر من كتب التفسير المقدسة والمفسرة لكتاب الله.

فاستغلال الكتب التفسيرية كوسيلة إعلامية لنشر المكذوبات عن الله وملائكته وأنبيائه، يعدّ كبيرة من الكبائر، وأشبهه باستغلال المنافقين لاسم

علوم القرآن، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ج٢، ص١٥. وانظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ج١، ص٦٢.  
١ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج١، ص٦٢-٦٣.



لمسجد، والذي عدّه رب الله العالمين مسجداً ضراراً، وطلب من النبي ﷺ تحريقه، لأنهم وظفوه للمؤامرات التي يجرها هؤلاء القوم ضد النبي الكريم ﷺ. فالملرويات الإسرائيلية في الحقيقة لا تعكس رؤية تفسيرية واضحة لآيات القرآن وسوره وقصصه، بل تحوي تدميراً للأسس و يقينيات المسلم، وتمس تصورنا الإسلامي ومعتقدنا عن الله وملائكته ورسله وأنبيائه.

ولهذا فإن ابن خلدون علق في مقدمته على الكيفية التي دخلت الإسرائيليات فيها على كتب التفسير: قال ابن خلدون: إنَّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأُمِّيَّة، وإثنتوا قوا إلى معرفة شيء مما تتوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليفة وأسرار الوجود فإثماً يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى مثل كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، الذين اختلطت في

<sup>1</sup> قال الذهبي العلامة الحبر الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، وجالس أصحاب محمد، فكان يحدّثهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب إلى أن قال: حدّث عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس وذلك من قبيل رواية الصحابي عن تابعي وهو نادر عزيز، وحدّث عنه أيضاً أسلم «مولى عمر» وتبع الحميري ابن امرأة كعب، وروى عنه عدّة من التابعين كعطل بن يسار وغيره مرسلًا، وقع له رواية في سنن أبي داود والترمذي والنسائي انظر: حمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 9، 1341 هـ) ج 3، ص 489. ويكنى

عقولهم الحقيقية بالخرافة، هم وأمثالهم، فامتألت التفاسير من المنقولات عندهم، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلها كما قلنا من التوراة أو مما كانوا يفترون<sup>٣</sup>.

أبا إسحاق، من كبار أئمة اليهود، كان يؤه كاهناً، وورث الكهانة من أبيه، ولد قبل الهجرة باثنتين وسبعين سنة، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ في أوائل خلافة عمرو، توفي أيام عثمان سنة (٥٣٢هـ) حيث عاش (١٠٤) سنة، كان من أهل اليمن. من يهودها. فهاجر إلى المدينة عندما أسلم، ثم تحول إلى الشام، فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه، لما زعم فيه من كثرة العلم. قال ابن حجر: وروى عنه من الصحابة عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وأبوهريرة، ومعاوية.

أهو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، قال أحمد بن حنبل عنه: كان من أبناء فارس، وقيل: إن منبه من خراسان من أهل هرة، أخرجه كسرى من هرة إلى اليمن، فأسلم في عهد النبي ﷺ، وحسن إسلامه، فسكن ولده في اليمن، وكان وهب بن منبه يختلف إلى هرة، ويتفقد أمرها كان يقول: قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء، ولد سنة (٥٣٤هـ) و مات سنة (٥١٠هـ) قيل: ضربه يوسف بن عمر حتى مات. وقد أكثر من سرد الإسرائيليات، ونسب إليه قصص كثيرة، كانت مثاراً للنيل منه، والظعن عليه، حتى رمي بالكذب والتدليس، وإفساد عقول المسلمين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٤٤.

أسمه الحصين بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، حليف للفضل من الخزرج، وهم بنو عوف، كان حبراً من أئمة اليهود، فأسلم عند مقدم النبي ﷺ المدينة، وقيل: قبل وفاته بسنتين، فسماه النبي ﷺ عبدالله قال ابن حجر: وكان من بني قينقاع وكان عبدالله بن سلام ممن يحوكم الأحاديث ليستجلب أنظار العامة، ويرفع بمنزلة لديهم، من ذلك ما حاكمه حول صفة رسول الله ﷺ في التوراة، كان يملئها على العامة ترفلاً إليهم فكان يذكر من أوصاف الرسول الراهنة، ويقول: وجدتها كذلك في التوراة، وكان يدعي أنه أعلم اليهود، وأخبرهم بكتب السالفين. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٣.

أ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، المقدمة، (بيروت: دار القلم، ط ٥، ١٩٨٤م)، ص ٤٣٩.

ومهما يكن من أمر، فإن مجموع مثل هذه الأحاديث الإسرائيلية التي ملأت أغلب كتب التفسير، والتي يفترض أن تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، هي على ثلاثة أقسام:

**أحدها:** ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق. وهذا مقبول وموافق لما جاء في شرعنا، ومثاله: ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ **وَمَا قَدَرُوا رُؤُوسَ اللَّهِ لَإِنَّ اللَّهَ يَقْدِرُهُ وَالْأَمَّا قَبْضُ يَدَيْهِمَا يَقْبِضُنَّ وَيَبْسُطُهُمَا لِيَبْسُطَهُنَّ مَا تَوَسَّعَتْ أَرْضُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ سَعًا** سورة الزمر: ٦٧.

**والثاني:** ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالف. وهذا مردود لأنه يخالف لشرعنا، ومثاله: ما كانت اليهود تقول: إذا جامع اليهودي زوجته من ورائها، جاء نالمد أو كؤلم؛ ففعلت: **لَكُمْ فَأْتُوا حَرِّكُمْ أَنِّي**

<sup>١</sup> سورة الزمر: ٦٧.

<sup>٢</sup> الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قولها تعلى **زُيَّا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ**، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم: ٢٧٨٦.

شتمتم<sup>١</sup>،<sup>٢</sup>. قال الحافظ ابن كثير: "وما شهد له شرعنا منها (يعني من الإسرائيليات) بالبطلان، فذاك مردود لا يجوز حكايته<sup>٣</sup> إلا على سبيل الإنكار والإبطال"<sup>٤</sup>.

**والثالث:** ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، ومتعدد فيه بين القبول والرد وشرعنا سكت عنه<sup>٥</sup>. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا اختلف علماء هلل الكتاب في مثل هذا كثيراً، في مثل أسماء أهل الكهف، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم. لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل

<sup>١</sup>سورة البقرة: ٢٢٣.

<sup>٢</sup>الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في أوائل كتاب التفسير، بلفظ: لَكُمْ فَأْتُوا حَرِّكُمْ أَيْ شَرِّكُمْ. حديث رقم (٤٥٢٨)، ومسلم، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها أو من ورائها، من غير تعرض للدبر. حديث رقم: ١٤٣٥.

<sup>٣</sup>ومن أمثاله ما ورد في التوراة، في سفر التكوين (ص ١٩، ع ١٣٠٤): أن ابنتي لوط سقتا أباهما الخمر فاضطجعتا معه.

<sup>٤</sup>إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، د.ت) ج ١، ص ٧.

<sup>٥</sup>أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجماني، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب، (الجزيرة: مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ج ١، ص ٢٧.

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، آمَنَّا بِقَوْلِ لَوَايَ ﴿نَزَلَ إِلَيْنَا وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية<sup>١</sup>، ولكن التحدث بهذا النوع جائز، إذا لم يخش محذور؛ لقول النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>٢</sup>. قال الإمام الشافعي معلقاً على هذا الحديث: "من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجوز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"<sup>٣</sup>. وهذه من القواعد الهامة التي لا يصح العدول عنها بكل المقاييس، لأنها تجعل المفسر يقظاً في نقله، وناقداً للمرويات التي تواجهه، فيميز الصحيح من السقيم منها، ولا

<sup>١</sup>سورة العنكبوت: ٤٦.

<sup>٢</sup>الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، بأقواله ﷺ: "وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ" وانظر: الإمام الحافظ أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي الشهير بالحسين بن المبارك، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، (بيروت: دار الإرشاد، دت)، ج ٢، ص ٩٩. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٦١. وانظر: الإمام ابن حجر العسقلاني، جواهر صحيح البخاري، اختارها وعلق عليها: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، والشيخ بهيج عبد القادر غزّ أوي، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٢٥٦. رقم الحديث: ٤٣٤.

<sup>٣</sup>ابن حجر العسقلاني، جواهر صحيح البخاري، ص ٢٥٦-٢٥٧.

يسجل معلومة أبداً في كتابه الذي سيسأل عنه يوم القيامة، إلا إذا كانت صحيحة، أو على الأقل تتوافق مع روح القرآن والتصور الإسلامي الصحيح. يقول العك: "والحق أن المكثرين من هذه الأخبار، وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوبة، وأخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظرون إليهم بعين الاتهام والريبة"<sup>1</sup>.

### المبحث الأول: المفاهيم والمصطلحات:

أولاً: الإسرائيليات لغة: جمع إسرائيلية، وهي قصة أو أسطورة تروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أكان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة. والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو لقب يعقوب النبي عليه السلام، وإليه تنسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، سواء أكانوا منسوبين إليه بالنسب، أو

<sup>1</sup>خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (عمان: دار النفائس، ط ٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ص ٢٦١.

بالإيمان فكل من آمن باليهودية فهو إسرائيلي، سواء كان منتسباً إلى أحد الأسباب أم لم يكن<sup>١</sup>.

ثانياً: الإسرائيليات اصطلاحاً: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى. أو هي القصص والمرويات والأساطير المستمدة من التوراة والإنجيل، مما له علاقة بأحوال الأمم الماضية، وقصص الأنبياء والمرسلين، وما له صلة ببدء الخليقة والتكوين<sup>٢</sup>. أو هي كل ما دخل إلى التراث الإسلامي، وبخاصة في مجال التفسير من روايات لها أصل ومصدر يهودي يمكن الوقوف عليه، وأما ما لم نجد له أصلاً في مصادرهم، ولا يقبله العقل أو المنطق وكان من روايات اليهود أو ممن أسلم منهم فهو من باب الخرافات والأساطير<sup>٣</sup>. أو هو كل ما تطرق إلى التفسير والحديث والتاريخ من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما.

<sup>١</sup> أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١١.

<sup>٢</sup> مصطفى إبراهيم المشني، ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩١م)، ص ٣٧٧.

<sup>٣</sup> آمال محمد عبد الرحمن ربيع، الإسرائيليات في تفسير الطبري - دراسة في اللغة والمصادر العبرية، (القاهرة: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م) ص ٢٦.

وإنما أطلق لفظ الإسرائيليات على كل ذلك، من باب التغليب للّون اليهودي على غيره، لأن غالب ما يروي من هذه الخرافات والأباطيل، يرجع في أصله إلى مصدر يهودي، ولأنهم الفئة التي كانت العرب الأوائل، وكذا المسلمون في العهد الأول يرجعون إليها في الأغلب الأكثر. واليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وثقافتهم كانت أوسع من ثقافات غيرهم، وحيلهم التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام كانت مآكرة خادعة، وكان لهم نصيب كبير في هذا المهشيم المركوم من المرويات الإسرائيليات الدخيلة، فمن أجل هذا كله، غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير و الحديث، وأطلق عليه كله لفظ ((الإسرائيليات)). وقصد به كل دخيل في التفسير.

### ثالثاً: التصور الإسلامي لغة واصطلاحاً :

**التصور لغة:** جاء في لسان العرب تحت مادة "صور"، يقال: وره الله صوراً حسنةً، فتصه صورته مورت تالشيصونوهمة فتصه ور لي. فالتصور هو تخيل الشيء في الذهن. وأما ماد تصار " يقال: الشياء صوراها أصاره فانصار: أماله فمال، وفي التنزيل العزيز: ﴿هُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:



١٠٠] وَجَّهْهُنَّ<sup>١</sup>. قال صاحب البحر المحيط: "فصره بمعنى أملهن" وضمهن إلى نفسك، وإنما كان ذلك ليتأمل أشكالها وهيئاتها وحلالها لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك"<sup>٢</sup>. وهذا يكون في الأشياء المادية، كصورة الكعبة، ويكون كذلك في الأشياء المعنوية: كالعقيدة والأفكار فيكون التصور ميلاً وتوجهاً.

**التصور الإسلامي اصطلاحاً:** العقيدة الإسلامية المتعلقة بالله وبالكون وبالإسلام، وما بينهما من علاقات<sup>٣</sup>. ولكني أرى أن التصور الإسلامي هو مجموعة من الأفكار، أساسها الوحي، وشكلها عقل العبد وضميره وقلبه تجاه خالقه ودينه والكون من حوله، هدفها إحداث علاقة مع الكل قائمة على العبودية لله وحده. وهذا ما يطلق العقيدة الإسلامية تجاه رب العزة وملائكته ورسله، والبحث يركز فقط على هذا الجانب الغيبي وهذا الجزء من أركان الإيمان. ولهذا حينما نقول: إن المرويات الإسرائيلية المكذوبة تشوه

<sup>١</sup> محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ١، د.ت) ج ٤، ص ٤٧١.

<sup>٢</sup> أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي (المتوفى: ٥٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد النجولي الجمل، (بيروت: دار الكتب العلمية ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ج ٢، ص ٣١١.

<sup>٣</sup> أشرف محمود القضاة، التصور الإسلامي، (كوالامبور: دار النجد، إصدار مؤسسة البيان، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ص ١.

التصور الإسلامي الصحيح، يكون القصد منه تشويه العلاقة الحقيقية بين العبد وربّه، وتقطيع السبل السليمة بينه وبين الكون والملائكة والأنبياء، وهذا وَمَا قَدَرُوا الْيَتَّعْبِقُ حَعْلِقَهُ قَوْلَهُ تَعْلَىٰ ﴿الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ تَمُوتُ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِالرُّوحِ نَزْلًا مِّن سَّمَاءٍ مُّجْتَبًى سَيَذَرُكُمُ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>١</sup>. حيث شوّهت اليهود مسألة التصديق والإيمان بالله لدرجة أنهم ما عظموه حق عظمتهم وما وقروه بالذي يليق به، ولم يعرفوه حق معرفته، وأنكروا إنزال الوحي، حيث عبدوا معه من لا يقدر على خلق ذرة، وجلب نفع، ولا دفع ضرر، وأشركوا به غيره، ثم زادوا على ذلك فما وصفوه حق صفته فيما وجب له واستحال عليه وجاز سبحانه، وكأنه تعالى يقول لهم: ﴿لَا تَرَوْا كُنُوزَ اللَّهِ وَمَا يَدْرَأُونَ﴾ [نوح: ١٣] لا تخافون من بأسه ونقمته.

من جهة أخرى يجد المدقق عدداً من الآيات القرآنية تخاطب رسول الله وجماعة المؤمنين أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويسألوهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم، وجاء بها الإسلام فأنكروها، أو أغفلوها، ليقيم عليهم الحجة، ولعلمهم يهتدون. وسأستشهد بقول المفسر أبي السعود في رؤيته لهذه الآيات الدالة ظاهراً على إباحة رجوع

<sup>١</sup>سورة الزمر: ٦٧.





أيدي الأنبياء عليهم السلام وكم زودنا هَيْمَةً بِنَاطِقَةٍ بِحَقِّيَّةِ الْإِسْلَامِ الْمَأْمُورِ  
بالدخول فيه".<sup>١</sup>

فكل ما تقدم من آيات قرآنية يدل ظاهره على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم، لكن من أجل ماذا؟ هل من أجل استزادة علم لسيدنا محمد ﷺ بقضايا وحقائق قرآنية لم يعرفها، وخصوصاً أنه ثبت لدينا عن نبينا الكريم أن كتبهم هذه وصل إليها التحريف والتبديل. الجواب: طبعاً لا. إذن فطلب السؤال يقصد منه، استزادة اليقين بالله واستزادة التثبيت وخصوصاً حين يكون القرآن هو المصدق على قضايا مشتركة بين الكتب السماوية، حتى يكمل فيها تحاجج المعاندين منهم وإقرارهم على التسليم لنبينا الكريم وكتابه العظيم.

أما مسألة الخطابات التي وجهت للنبي الكريم في سؤال أهل الكتاب، فهي في ظاهرها تخاطب النبي ﷺ غير أن المقصود غيره من المتشككين في أمر الرسالة، كالكفار والمنافقون، بدليل صدر هذه الآية وذيلها **لَنْتَ فِي**  
**أَنْتَ تَنْزَكَ لَنَا مِمَّا لِيكَ فَاسْأَلِ الْيَدِ يَقْرَأْ مَوْلَاكَ قَابَلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ**

<sup>١</sup> أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ١، ص ٢١٣.

مِنْ رَبِّكَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِئَذٍ ﴿٩٤﴾ [يونس: ٩٤] قال الثعالبي: "قال عياض الخياط: مواجهة للنبي ﷺ، والمراد المشركون".<sup>١</sup>

لهذا كان من منهج الصحابة أنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو بالأحكام، وكانوا لا يصدقون أهل الكتاب في شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً إذا كان يتنافى مع التصور الإسلامي، بل لو كان هناك إجابة خاطئة فلا يسكتوا عنها، ويبينوا وجه الصواب فيها. وهذا يحمل عليه قوله ﷺ: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"<sup>٢</sup>، إذ المعنى: حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه.

وعليه، فإن المرويات التي تمس قداسة تصورنا الإسلامي عن الله والملائكة والأنبياء، وتخالف شرعنا، ولا يؤمن بها العقل الإسلامي، تحرم روايتها، لأنها كذب على الله وملائكته وأنبيائه. وقد عقد البخاري في صحيحه باباً عنونه بقول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء" وذكر فيه حديث معاوية

<sup>١</sup> عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بتفسير الثعالبي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت) ج ٤، ص ١٢٩.

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. والحديث سبق تخريجه في ص ١.

عن كعب الأحبار: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"<sup>١</sup>.  
وأما المرويات التي سكت عنها تصورنا الإسلامي، ولا ندري صدقها من كذبها، فالحكم فيها التوقف. وهذا ما دل عليه قوله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" أما مجرد التعامل معها على أنه مجرد روايات تزيد من تفسير الشيء الثابت فأمر أباحه تصورنا الإسلامي، ويدخل فيه قوله ﷺ: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"<sup>٢</sup>. وذلك كأسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم، وسعة غارهم ومكوافيها، البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر وغير ذلك مما لا يقدر في تصورنا الإسلامي تجاه رب العزة وملائكته ورسله. يقول ابن تيمية: "إن ما يحتاجه المسلمون إلى معرفته فإن الله قد نصب على الحق فيه دليلاً، فمثال ما يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في "لون كلب أصحاب الكهف" وفي البعض الذي ضرب

<sup>١</sup> انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط ٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ج ٦، ص ٢٦٧٩.  
<sup>٢</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل. والحديث سبق تخريجه في ص ١.

موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ كاسم صاحب موسى أنه الخضر، فهذا معلوم. وما يكن كذلك، بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمقول عن كعب ووهب ومحمد بن إسحاق، وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة<sup>١</sup>. وكذا ما نقل عن بعض التابعين، وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين<sup>٢</sup>.

وأما ما ثبت لنا من مرويات تؤكد أن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس، كانوا يراجعون بعض من أسلم من أهل الكتاب، يسألونهم عما في

<sup>١</sup> انظر: تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، مقدمة في أصول التفسير، اعتنى به: فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار ابن حزم، ط ٢، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص: ٤٩-٥٠.

<sup>٢</sup> تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزائر (د.م: دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ج ٢، ص ٢٩٦.



كتبهم، وما روي من أن عبد الله بن عمرو بن العاص أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما، لا يعارض ما رواه البخاري من إنكار ابن عباس على من يسأل أهل الكتاب. وهو من هذا الباب التفسيري الزائد لما ثبت أصله، كما قلنا كأسماء أهل الكهف، وغير ذلك من معرفة بعض جزئيات الحوادث و الأخبار.

أما بالنسبة لما رواه أحمد من إنكار الرسول ﷺ على عمر لما أتاه بكتاب، أصابه من بعض أهل الكتاب بقوله: "أمتهوكون<sup>٢</sup> فيها يا ابن الخطاب"<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ٣٦٦.

<sup>٢</sup> المتهوك: الذي تحير عقله، فيرد في الأمور من غير روية ولا تعقل، كالمتهور غير المبالي. وكان قصد النبي ﷺ: متحIRON أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى.

<sup>٣</sup> أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلي عن خالد بن عرفطة، قال: كنت جالسا عند عمر، إذ أتني برجل مسكنه السوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدى؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَكَ آيَاتٌ قُرْآنًا أَنَا عَلِيمٌ بِمَا لِلَّهِ بِإِلَهِكُمْ لَتَنَلَّهُمْ لَمُونَ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ مَثَلًا لَقَدْ ظَلَمُوا صِحْيَةً نَدَىٰ إِلَيْكَ وَهِنًا لَمَكِّنْ لَنَا مَن قَبْلِهِ لَمَلِغَ الْفَالِقِينَ﴾ [يوسف: ١-٣]، فقرها عليه ثلاثا، وضره ثلاثا، فقال له الرجل:

ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فاحمه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لاتقرأه، ولا تقرأه لحداء من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو قرأته لحداء من الناس لأهكتك عقوبة. ثم قال له عمر: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت نأ فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أدم، فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟ إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟، السلاح السلاح، فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: "يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم ونحواتي، واختصر لي

وقال متندماً على ما فرط منه: رضيت بالله رباً، وبالاسلام ديناً، وبك رسولاً،<sup>١</sup> كان تشديداً يتناسب مع المرحلة التأسيسية لهذا الدين، ومنع فيها كل أشكال التدوين والكتابة، لكتب أهل الكتاب، وحتى للحديث النبوي الشريف.

لهذا نقول فإنه نتيجة لهذه التربية النبوية الصارمة للصحابة الكرام، في النظر والاستقراء والاستدلال بكتب أهل الكتاب، فقد تعلموا ﷺ أن يكونوا يقظين في مسألة التعامل مع المعلومات الصادرة إليهم من الثقافات الأخرى عموماً، وعليه فإنه لكون الصحابة ﷺ أعرف الناس بأمور دينهم، كان لهم معيار دقيق في قبول ما يلقي إليهم من مرويات عموماً، ومن تأسرل منها

اختصاراً، ولقد أتيتكم بما بيضاء نقية، فلا تمكوا ولا يغرنكم المهوكون" قال عمر: فقامت، وقلت: رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ. انظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت) ج ٣، ص ٣٨٧، حديث رقم: ١٥١٩٥. وانظر: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م)، ج ٦، ص ٤٧٣. وانظر: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيان - صفوة السقا (د.م): مؤسسة الرسالة، ط ٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ج ١، ص ٢٠٠.

<sup>١</sup> محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ج ٦، ص ٣٤. قال الصابوني: لكن الحديث قوي فإن له شواهد كثيرة، وهو حديث حسن.

خصوصاً . فالمرحلة هذه كانت في مرحلة تأسيسية لدين الاسلام، والأحكام لم تكن مستقرة، وكان هذا المنهج النبوي الحازم حماية للتصور الإسلامي من الاختراق بشكل عام.

لكن بعد أن استقرت الدولة، وقويت شوكتها، فإننا نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأذن لتميم بن أوس الداري أن يقص قصصه، قائماً في المسجد النبوي، علانية على رؤوس الأشهاد في هذا العهد. يقول أبو شهبة: "إن بدعة القصة قد حدثت في آخر عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه". ثم أذن من جاء بعد عمر بالقصة من الخلفاء، وطُبع ذلك مرسوماً لبليامياً فيما بعد، كما حث عليه معاوية في إجازته لكعب أن يقص على الناس وهذا مرجعه إلى الميل الفطري إلى المعرفة بالأشياء تفصيلاً، و كانوا يراجعون أهل الكتاب، فيما أجهم عليهم من قصص القرآن و كان أولئك يتخذونها فرصةً، فيلقون إيهام ما كان لديهم من قصص وأساطير.

لكن الراجح في المسألة أن هذا المسلك الذي سلكه بعض الصحابة كان محصوراً في عدد معين من الصحابة، وفي عدد معين من المسائل، وليس سمة عامة للصحابة، حتى إنه كانت أصوات بعضهم تنادي بعدم الاستماع

أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١١٥.

والسؤال لأهل الكتاب، ومنهم ابن عباس المتهم بأكثر من وضعت مرويات إسرائيلية عليه. روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس، أنه كان يقول: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جأكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما ريتاً منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم".<sup>1</sup>

#### المبحث الثاني: المرويات الإسرائيلية التي قيلت في الله ورؤيته سبحانه:

من هذه المرويات الإسرائيلية التي ساهمت في التضليل والإفساد للرؤى الصادقة حول التصور الإسلامي لله عز وجل، ما ذكره بعض المفسرين عند

وَلَمَّا جَاءَهُمْ وَتَنَسَّيْ قَوْلَهُ تَعْلِيًّا ۗ ﴿١٠١﴾ وَأَوْ كَلَّمَهُهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ ۚ  
وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّتْ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي  
لَمَجِبَلٍ جَعَلَهُ دُكَّانًا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها. حديث رقم (٢٦٨٥)، (٦٩٢٩).

تُبَيِّنُ إِلَيْكَ وَأَنَا الْمَوْلِيُّ مِنْ مَنِينٍ ﴿ [الأعراف: ١٤٣] ، فقد ذكر الثعلبي<sup>١</sup>، والبعوي<sup>٢</sup>، وغيرهما عن وهب بن منبه، وابن اسحاق، قالوا: "لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب، وأمر الله ملائكة السماء أن يعترضوا على موسى، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر، تنبع أفواههم بالتسييح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية، أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسييح والتقديس، ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع، واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال: لقد ندمت على مسألتي، فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

<sup>١</sup> أحمد بن إبراهيم النيسابوري ت ٤٢٧ هـ - هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. انظر: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان - تفسير الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ج ٤، ص ٢٧٦.

<sup>٢</sup> هو: الحسين بن مسعود الفراء ت ٥١٠ هـ - تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعية والآراء المبتدعة.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال النصور لهم قصف ورجف شديد، وأفواههم تنبع بالتسييح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار، ففزع موسى واشتد نفسه وأيس من الحياة، فقال له خير الملائكة: مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتقديس والتسييح، لا يقاربه شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم، فاصطكت ركبته، وأرعد قلبه، واشتد بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة، أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان، فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره، لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم، فامتأجوفه خوفاً، واشتد حزنه وكثر بكاؤه، فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبيد الذي طلب ليراني، فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة،

نار أشد ضوءاً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا، جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سبح قدوس، رب العزة أبداً لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا، وهو يبكي ويقول: رب اذكرني ولا تنس عبدك، لا أدري أنفلت مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت احتزقت، وإن مكثت مت، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة، فلما بدا نور العرش، انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله، ورفعت ملائكة السموات طبواتهم جميعاً، يقولون: سبحان الملك القدوس، رب العزة بدأ لا يموت، بشدة أصواتهم، فارتج الجبل، واندكت كل شجرة كانت فيه، وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله برحمته الروح، فتغشاه، وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى، وجعله كهيئة القبة، لئلا يحترق موسى، فأقام موسى يسبح الله، ويقول: آمنت بك ربي، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا، من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك، وأعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب، وإله الآلهة، وملك الملوك، ولا يعدلك شي، ولا يقوم لك شي، رب تبت إليك، الحمد لله

لا شريك لك، ما أعظمك، وما أجلك رب العالمين، فذلك قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْمِجْرِبِينَ جَعَلَهُ دَكًّا<sup>١</sup>، وبعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدى من نور الله، قال: ووقع في بعض التفاسير: طارت لعظمته ستة أجبل، وقعت ثلاثة بالمدينة: أحد، وودقان، ورضوى، ووقعت ثلاثة بمكة: ثور، وثبير، وحرء<sup>١</sup>.

إنها قصة رعب حقيقية، أو إن شئت فقل: إنها مشهد تمثيلي يقوم بلعب أدواره - في تصور القصاص - والعياذ بالله: الله ذو الجلال والإكرام وحاشاه سبحانه، ثم ملائكته الكرام، ثم موسى، مع الجبال وبعض المخلوقات. إنه تعالى تقدست أسماؤه أن يقوم بمثل هذه الأدوار التي يظهر فيها مُرْعِباً لأوليائه وأنبيائه وخصوصاً موسى كليمه ﷺ. إنها قصة تستجلب العطف لسيدنا موسى، وتستجلب القسوة والفظاعة لله رب العالمين. نتيجتها اهتزاز الثبات الاعتقادي والتصور الإسلامي، للواحد الديان، الذي أكرم موسى ﷺ، وجعله كليمه ومن أولى العزم من الرسل.

ولا أدري ما الفائدة المرجوة التي يمكن أن يستفيد بها المسلمون من قراءة مثل هذه القصص المرعبة، والتي تفسد علينا تصورنا الحقيقي لذي الجلال

<sup>١</sup> البغوي، تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك (بيروت: دار المعرفة، د.ت) ج ٢، ص ١٩٦.



والإكرام. قال ابن كثير مقالة فيها ملامة وعتاب لشيخه الطبري: "وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره ههنا أثرًا طويلاً فيه غرائب وعجائب، عن محمد بن إسحاق بن يسار وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله تعالى أعلم".<sup>١</sup>

وزاد الطين بلة ما أخرجه السيوطي في دره المنثور عن أبي مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لما أوحى الله إلى موسى بن عمران: إني مكلمك على جبل طور سيناء، صار من مقام موسى إلى جبل طور سيناء أربعة فراسخ في أربعة فراسخ، رعد وبرق وصواعق فكانت ليلة قر، فجاء موسى حتى وقف بين يدي صخرة جبل صور سيناء، فإذا هو بشجرة خضراء، الماء يقطر منها وتكاد النار تلتفح من جوفها، فوقف متعجباً فنودي من جوف الشجرة: يا ميشا. فوقف موسى مستمعاً للصوت...؟! فقال موسى: من هذا الصوت العبراني يكلمني؟! فقال الله له: يا موسى إني لست بعبراني، إني أنا الله رب العالمين. فكلم الله موسى في ذلك المقام بسبعين لغة، ليس منها لغة إلا وهي مخالفة للغة الأخرى، وكتب له التوراة في ذلك المقام، فقال موسى: إلهي أرني أنظر إليك. قال: يا موسى إنه لا يراني أحد إلا مات. فقال موسى: إلهي أرني إليك وأموت، فأجاب موسى جبل طور

<sup>١</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٧٢.

سيناء: يا موسى بن عمران لقد سألت أمراً عظيماً ، لقد ارتعدت السموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، وزالت الجبال واضطربت البحار لعظم ما سألت يا ابن عمران. فقال موسى وأعاد الكلام: رب أرني أنظر إليك. فقال: يا موسى انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فإنك تراني:

كَلَّمَى رَبَّهُ لِمَجَابِلِ ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ مقدار جمعة، فلما أفاق موسى مسح التراب عن وجهه وهمّحيقولانك ﴿تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فكان موسى بعد مقامه لا يراه أحد إلا مات، واتخذ

موسى على وجهه البرقع فجعل يكلم الناس بقفاه، فبينما موسى ذات يوم في الصحراء، فإذا هو بثلاثة نفر يحفرون قبراً حتى انتهوا إلى الضريح، فحاء موسى حتى أشرف عليهم، فقال لهم: لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا له: الرجل كأنه أنت أو مثلك أو في طولك أو نحوك. فلو نزلت فقدرنا عليك هذا الضريح. فنزل موسى فتمدد في الضريح فأمر الله الأرض فانطبقت عليه<sup>١</sup>.

لا يمكن للعقل السليم أن يقبل بهذه الروايات التي تمس تصورنا الإسلامي عن رب العزة، وهو يكلم موسى بسبعين لغة كل لغة تخالف أختها، وينادي

<sup>١</sup>السيوطي، الدر المنثور، ج٤، ص٣١١.

أمامه بيا ميشا، وباللغة العبرية ليلاقي موسى عليه السلام ميتة يشم منها والعياذ بالله الغدر بالأنبياء.

وبالتالي فالحكم على هذه المرويات ومثيلاتها من الإسرائيليات التي تكذب على الله عز وجل، وتشوه التصور الإسلامي الجميل عن رب العزة وملائكته الكرام أنها مرويات رخيصة ساذجة مرفوضة شرعاً وعقلاً، وهي مما لا يليق أن تذكر في كتب التفسير، التي يفترض أن تكون ثرية في ذاتها، ولا تحتاج إلى مرويات كذوبة تخدش تصورنا الإسلامي الجميل.

وسامح الله إمامنا الآلوسي، حين روى مروية فيها يعاقب فيها موسى بأرجل الملائكة المقربين، رغم أنه اتهمها بالسقوط، حيث قال في تفسيره: "ونقل بعض القصاصين، أن الملائكة كانت تمر عليه حينئذ، [بعد سؤاله الرؤية] فيلکرونه بأرجلهم، ويقولون: يا ابن النسلحیّ ض، أطمعت في رؤية رب العزة"؟<sup>١</sup> ثم علق على هذه الرواية بالقول: "ولا شك أن هذا كلام ساقط لا يعول عليه بوجه، فإن مقام الملائكة عليهم السلام أعظم أجلّ من هذا، ولهذا يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل، والغض في الخطاب"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> محمود الآلوسي أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العرب، د.ت) ج٦، ص ٣٤٠.

<sup>٢</sup> الآلوسي، روح المعاني، ج٦، ص ٣٤٠.

فما دام الكلام ساقطاً، فلماذا ذكرته، فيا ليته لم يذكر هذه الإسرائيلية، ولم يعلق عليها، حفظاً لمقامه الكريم وتنزيهاً لكتابه القيم.

كيف نستغرب هذا الكذب من هؤلاء القصاص، وهم بضاعتهم الأولى الكذب استزاقاً، ومن صفقاتهم في ذلك، ما روي عن جعفر بن محمد الطيالسي أنه قال: صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين بمسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالوا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان" وتلخذاً في قصة نحواً من عشرين ورقة. فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، يسأل أحدهما الآخر: هل أنت حدثته بهذا؟ قال: والله ما سمعت بهذا إلا هذه الساعة. فلما انتهى الخطيب القاص أشار إليه يحيى، فجاء متوهماً نوالاً، فقال له: من حدثك بهذا؟ قال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. فقال يحيى: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله، فان كان ولا بد من الكذب، فعلى غيرنا. فقال القاص: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل أحقان، ما تحققتة إلا الساعة، فقال له يحيى: وكيف؟ قال: كأنه ليس في الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما، لقد كتبت عن

سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فما كان منهما إلا أن رضيا من النقاش بالسلامة. ومن يدري، فلعلهما لو أطلاا معه النقاش، لنالهما ما نال الشعبي، فقد دخل مسجداً، فإذا رجل عظيم اللحية، وحوله أناس يحدثهم، وهو يقول: ان الله خلق صورين، في كل صور نفختان، قال: فخفت صلاتي، ثم قلت له: اتق الله يا شيخ، إن الله لم يخلق لآ صوراً واحداً، فقال لي: يا فاجر، أنا يحدثني فلان وفلان، وتردي عليّ، قلت لهم: إن الله خلق ثلاثين صوراً في كل صور نفختان<sup>١</sup>. وهذا ما فعله القصص الإسرائيلي الذي من هذا القبيل، حيث بدخل على المسلمين كثيراً من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية، وشوهت تصورنا الإسلامي.

المبحث الثالث: المرويات المتعلقة بالغيب وخصوصاً في تصورنا الإسلامي للملائكة:

قصة هاروت وماروت: قال الطبري: " ذكر بعض الأخبار التي في بيان الملكين ومن قال إن هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه في قوله ببابل. حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني

<sup>١</sup> أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص ١٦٠.

أبي عن قتادة، قال: ثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب عن ابن عباس قال: إن الله أفرج السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بني آدم، فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا: يا رب، هؤلاء بنو آدم الذي خلقتهم بيدك، وأسجدت له ملائكتك، وعلمته أسماء كل شيء، يعملون بالخطايا! قال: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملمتكم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا! قال: فأمرُوا أن يختاروا من يهبط إلى الأرض، قال: فاختاروا هاروت وماروت. فاهبطا إلى الأرض، وأحل لهما ما فيها من شيء، غير أن لا يشركا بالله شيئاً ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق. قال: فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قسم لها نصف الحسن، يقال لها "بيذخت"، فلما أبصراها أرادا بها زنا، فقالت: لا إلا أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم! فقالا ما كنا لنشرك بالله شيئاً! فقال أحدهما: للآخر: ارجع إليها. فقالت: لا إلا أن تشربا الخمر. فشربا حتى ثملا، ودخل عليهما سائل فقتلاه فلما وقعا فيما وقع من الشر، أفرج الله السماء لملائكته، فقالوا: سبحانك! كنت أعلم! قال: فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكبلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البخت، وجعلا بيابل، فهما بها يعذبان،

معلقين بأرجلها وفي بعض الروايات، إنهما علماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة<sup>١</sup>.

فابن كثير عند كلامه عن قصة هاروت وماروت، نفّس عن غضبه وشدة سخطه، فحكم بوضع هذه القصة، وعدّها روايات مكدوبة منشأها إسرائيلي، وهي مما ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام، وأن روايات الرفع إلى النبي ﷺ غريبة جداً، قال: "وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والريعي بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال

<sup>١</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ) ج ١، ص ٤٥٦. وانظر: السيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ٢٤٤.

القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أرادته الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال<sup>١</sup>.

فهذه المناكير التي تقال ضد الملائكة المقربين الذين وصفهم ربهم دون لَاحِظٌ وَنَسْتَلْتَلِيهِ لِأَحَدًا مَلْهُمَ ﴿هُمَّ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] لا تليق بجلال الملائكة، فكيف ننقل روايات في كتبنا التفسيرية يتهم الملائكة فيها بأنهم يزنون ويشربون الخمر، ويقتلون ويفتنون في النساء، وكأن لهم شهوة عارمة مثل بني آدم. إنها مرويات تفسد تصورنا الإسلامي تجاه الملائكة الطائعين، وهي يقيناً مجرد أحاديث وقصص، تلقى - للأسف هوىً واستلذاذاً لدى العوام، الذي يجون كل غريب وهمهم أن يستمعوا لكل من كان حديثاً عجيب يحزّن القلوب أو يطربّ العقول.

ومما زاد في تطميس الحقيقة ما ذكره السيوطي في كتابه، ربما نقلاً عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في مستدركه وصححه، والبيهقي في سننه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت: قدمت امرأة من أهل دومة الجندل علي تبغني رسول الله ﷺ، بعد موته بيسير، تسأله عن شيء دخلت فيه، من أمر السحر لم تعلم به، قالت: فرأيتها تبكي حين لم تجد

<sup>١</sup> إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) ج ١، ص ٣٥٨.



رسول الله ﷺ، حتى إني لأرحمها من كثرة بكائها، وهي تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، فسألتها عن قصتها، فقالت: كان لي زوج قد غاب عني، فدخلت عليّ عجزوز فشكوت لها حالي، فقالت: إن فعلت ما أمرك به فإنه يأتيك بعلك! فقلت: إني أفعل. فلما كان الليل جاءني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وتركت الآخر، فلم يكن بأسرع حتى وقفنا ببابل، فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهم، فقالا: ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر؟ فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري! وارجعي. فأبيت وقلت: لا أرجع. قالوا: فاذهبي إلى التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فاقشعر جلدي ففرغت منه، ولم أفعل فرجعت إليهما، فقالا لي: فعلت؟ قلت: نعم. قالوا: هل رأيت شيئاً. قلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعل. ارجعي إلى بلادك لا تكفري، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فاقشعر جلدي، وخفت، ثم رجعت إليهما. فقالا لي: ما رأيت؟ إلى أن قالت: فذهبت في الثالثة فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد، خرج مني حتى ذهب في السماء، فأتيتهما فأخبرتهما فقالا: صدقت، ذاك إيمانك خرج منك، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما علمت شيئاً، ولا قال لي شيئاً! فقالت لي: بلى لن تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فابذريه، فأخذته فبذرتة. وقلت له: اطلع فطلع ثم قلت استحصد فاستحصد، ثم

قلت: انطحن فانطحن، ثم قلت: انخبز فانخبز. فلما رأيت أني لا أقول شيئاً إلا كان سقط في يدي فندمت، والله يا أم المؤمنين ما فعلت قط ولا أفعله أبداً. فسألت أصحاب رسول الله ﷺ فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا لها: لو كان أبوك حين أر أحدهما لكانا يكفيانك". ثم قال الحاكم: صحيح، واسترسلت المرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة<sup>١</sup>.

إن هذه الروايات الخرافية لا يقرها شرع، ولا تستند إلى عقل ونقل، إنها مكذوبات من تراث بني إسرائيل الخرافي، والمصيبة تكتمل حين يرفع هؤلاء القصاصون مثل هذه الروايات للنبي الكريم ﷺ. ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل فضلاً عن طالب حديث في أن هذا مختلق على النبي ﷺ مهما بلغت

<sup>١</sup> انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢، ص ٤٤٠. وانظر: السيوطي، الدر المنثور، ج ١، ص ١٨٧. وانظر: الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٤٩. وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٣٦١. وانظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٤٤٣. وانظر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، ط ١، ١٣٤٤هـ) ج ٨، ص ١٣٦. باب قبول توبة الساحر، رقم الحديث: ١٦٩٤٧. وانظر: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ج ٤، ص ١٧١. كتاب البر والصلة. رقم الحديث: ٧٢٦٢. وكثرة أولئك الرواة لهذه المروية الإسرائيلية حول الإنبياء يدل على مدى المصيبة التي وقع فيها تراثنا الإسلامي، من خلال هؤلاء القصاص.

أسانيد من الثبوت، فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية، ساقطة، ولا تخلو من وطلع، أو ضعيف، أو مجهول؟ وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة، فهو كافر بالله تعالى العظيم. وقال الامام القاضي عياض في الشفا: وما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، لم يرد فيه شي لا سقيم، ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس<sup>١</sup>. ثم هذه من ناحية العقل غير مسلمة، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر، التي لا تصدر الا من فاجر عريبد، وقد أخبر الله عنهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وهذه الخرافات التي لا يشهد لها نقل صحيح، ولا عقل سليم هي كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين ملأً يقينياً. لأنها تشوه كل فكرة جميلة أخذت من الوحي وتحدثت عن الملائكة المقربين، فالتصور الإسلامي يرفع من قدر الملائكة ويعزز من مكانتهم في ديننا، كيف لا وقد خلد الله وَاَلَهُ وَصَفْنَهُمْ فِي كِتَابِ الْمَسَائِدِ عَزِيزًا وَقَوْلَتْ ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ

<sup>١</sup> انظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١، ص ٤٣٩.

عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ [الأنبياء: ١٩-٢٠]. وقال تعالى مكملًا وصف ملائكته: ﴿عِبَادًا لَا يَكْفُرُونَ بِمَقُوتِهِ بِاللَّهُمْ لَهَا عَورَلَمْ يَمَعْلَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ أَيْدِيهِمْ وَمَا مَسَّمُ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَخَشِيَ اللَّهُ مُشْفِقُونَ ﴿ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

والخلاصة: على القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات، التي نخرت في أغلب كتب التفسير، ويعمل جاهداً على أن لا يتحدث عنها إلا من باب الإساءة إليها والتشهير بها، لأنها إسرائيلية مردولة هدفها تشويه التصور الإسلامي وإفساده.

ومن الحقائق التي لا بد من فهمها أن من هؤلاء القصاص، من كان يتغني الشهرة والجاه بين الناس، ومنهم من كان يقصد التعيش والارتزاق، ومنهم من كان سيئ النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في عقائد الناس، ويشوه تصورنا الإسلامي عن الملائكة المقربين، وربما حجب بعضهم جمال القرآن، وقصد تشويه سمعة الإسلام، بما يأتي من تفاسير باطلة، وخرافات تتنافى العقول.

ويظهر كذلك أنه كان نوع من القصص اتخذوا القصص أداة سياسية وراء ستار التذكير والترهيب، يستعينون بها أرباب السياسات في دعم

لسياساتهم الداخلية، ومن خلالها يتم توجيه العامة نحو الالتزام بالقانون. ومن ثم ارتفع شأن القصص حتى أصبح عملاً رسمياً يعهد إلى رجال رسميين، يعطون عليه جراً.

**المبحث الرابع: ما قيل في الأنبياء من مرويات إسرائيلية باطلة:**

**الاسرائيليات في نسبة الشرك الى آدم وحواء عليهما السلام.**

من الروايات الإسرائيلية التي ذكرها بعض المفسرين في حق آدم وزوجه عليهما السلام عند تفسيري قوله **تَعَلَّقَ بِكُمُ** مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ **إِلَيْهِمْ** فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ **دَعَا** اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنِي صَاحِباً مُطَهَّرًا لَآتِيَنَّكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا صَاحِباً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّاهُمَا يَشْرِكُونَ ﴿١٨٩﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

ففي رواية للإمام السيوطي، حيث ذكر رواية أخرجها الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس،

<sup>١</sup> عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ و الصحابة و التابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب (صيدا: المكتبة العصرية، د.ت) ج ٥، ص ١٦٣٥، حديث رقم: ٨٦٦٤.

وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره<sup>١</sup>. وزاد الطبري في روايته، «قال لها: فأطيعيني وسميه عبد الحرث تلدي شبهكما مثلكما، قال: فذكرت ذلك لآدم عليه السلام، فقال: هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة، وفي رواية: قال له آدم: أعوذ بالله من طاعتك، إني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة فلن أطيعك. فمات ثم حملت بآخر، فجاءها، فقال: أطيعيني وسميه عبد الحرث، وكان اسمه في الملائكة الحرث وإلا ولدت ناقه أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو قتلتة، فإني أنا قتلت الأول، قال: فذكرت ذلك لآدم، فكانه لم يكرهه، فسمته عبد الحرث، فذكَرَ لَكَ أَقْوَابُهُ: ﴿مَا صَا الْحِ مَّا﴾ يقول: شبهنا مثلنا آتٍ ﴿هُمَّا صَا الْحِ مَّا﴾ قال شبههما مثلهما». وفي رواية أخرى: روى الطبري في تفسيره قال: «حدثني موسى، قال: ثنا عمرو،

<sup>١</sup> الإمام أحمد، المسند، (مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت) ج ٥، ص ١١. حديث رقم: ٢٠١٢٩. وانظر: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، لبنان) عجمه ص ٢١٣ ج ١ ص ١١١ ح ١٢٠٠ «نَزَعُ رِفْهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَضُّ قُفَّةِ لَمْ تَعْنِ عَيْدَ وَصَمَّ دِ وَلَمْ يَرْفَعَهُ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ شَيْخٌ بِصَدْرِي». وانظر: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م)، ج ٢، ص ٥٩٤، وقال الحاكم هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال: ثنا أسباط عن السدي، فلما أنقلت، كبر الولد في بطنها، جاءها إبليس فحوّنها، وقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار، وما يدريك من أين يخرج، أمن دبرك فيقتلك، أو من قبلك أو ينشق بطنك فيقتلك، فذلك حين دعوا الله بهما لئن آتيتنا صالحاً يقول: مثلنا لنكونن من الشاكرين". وقال ابن جرير في قوله تعالى ﴿كَلِمَاتٍ فِيمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾: "أشركه في طاعته في غير عبادة، ولم يشرك بالله ولكن أطاعه، وفي قول آخر زاد ابن جرير: أشركا في الاسم" أي أطاع إبليس من غير شرك بالله أو عبادة.

وقال آخرون: بل المعني بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلاً لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد، فهو في بعض الملل وذرية آدم من بعده، كاليهود والنصارى ومشركوا العرب من عبدة الأوثان، وليس في آدم وحواء<sup>١</sup>.

موقف العلماء والمفسرين القدامى والمعاصرين المصححين لتأويل هذه الآية:

<sup>١</sup> انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن - تفسير الطبري، ج ٩، ص ١٤٥-١٤٧.

<sup>٢</sup> انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن - تفسير الطبري، ج ٩، ص ١٤٨.

وقد اغتر بهذه الروايات كثير من المفسرين القدامي، كابن جرير<sup>١</sup>، والسيوطي<sup>٢</sup>، والثعلبي، والبغوي، وزاد من المشكل في الأمر أن الإمام الترمذي حسنه وصاحب المستدرک صححه، ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي زرعة الرازي، عن هلال بن الفياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعاً<sup>٣</sup>.

ولهذا عدت هذه الآية من أشكال آيات القرآن الكريم، لأن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم وحواء، وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين: من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم عليه السلام ووبتخله لمق ﴿ مِنْهَا مَا

<sup>١</sup> فابن جرير رحمه الله تساهل في جمع وثبت تلك المرويات الإسرائيلية في تفسيره، فمما أخذ عليه رحمه الله، أنه كان يذكر الروايات من غير تبيين لصحتها من سقيمها، حيث كان يحسب بعد أن يذكر السند. ولو لم ينص على درجة الرواية قوة وضعفاً. بخله من المؤاخذة، وخصوصاً في قصص الأنبياء.

<sup>٢</sup> لاحق النقاد والمستقرؤون لتفسير ((الدر المنثور)) بالنقد، رغم عزو الروايات إلى مخرجها، لكنه رحمه لم يبين منزلتها صحة وضعفاً، فالقارئ المعاصر لا توهله خبراته أن يميز الصحيح من السقيم في هذه المرويات لجرد أنه ذكر السند أو المصدر المخرج منه. ولا سيما في قصص الأنبياء والملائكة، وذلك مثل ما ذكره في قصة هاروت وماروت، ومعظمها مما لا يصح ولا يثبت، وإنما هو من الإسرائيليات التي سردها بنو إسرائيل وأكاديبهم على الأنبياء.

<sup>٣</sup> عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير القرآن، تحقيق: أسعد محمد الطيب (صيدا: المكتبة العصرية، د.ت) ج ٥، ص ١٦٣١. رقم الحديث: ٨٦٣٧.



زَوْجَهَا ﴿النساء: ١﴾ [حوالوكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مَرِّدويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعاً<sup>٢</sup>.

### موقف العلماء المعاصرين المصححين لتأويل هذه الآية:

**موقف الآلوسي:** العجيب أن مفسراً معوفاً له يد طولى في رد الموضوعات والإسرائيليات، وهو الآلوسي قد انخدع بهذه المرويات، فقال: "وهذه الآية عندي من المشكلات، وللعلماء فيها كلام طويل، ونزاع عريض، وما ذكرناه هو الذي يشير إليه الجبائي، وهو مما لا بأس به بعد إغضاء العين عن مخالفته للمرويات"<sup>٣</sup> ثم قال: "وقد يقال: أخرج ابن جرير عن الخبر أن الآية نزلت في تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد الحرث، ومثل ذلك لا يكاد يقال من قبل الرأي، وهو ظاهر في كون الخبر تفسيراً للآية، وارتكاب خلاف الظاهر في تفسيرها مما لا مخلص عنه كما لا يخفى على المنصف. ووجه جمع الشركاء زيادة في التعليل، لأن من جوزَّ الشرك جوزَّ الشركاء، فلما جعلاً شريكاً فكأنهما جعلاً شركاء، وختلَّ اللهُ إلى عمَّا يُشركُونَ ﴿ على

<sup>١</sup> السيوطي، الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٠. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج ٢، ص ٦٧.

<sup>٢</sup> المسند (١١/٥) وتفسير الطبري (٣٠٩/١٣)، وسنن الترمذي برقم (٣٠٧٧)، والمستدرک (٥٤٥/٢).

<sup>٣</sup> شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج ٩، ص ١٣٩.

الابتداء مما يستدعيه السباق والسياق، وبه وصرح كثير من أساطين الإسلام، والذاهبون إلى غير هذا الوجه نزر قليل، بالنسبة إلى الذاهبين إليه، وهم دونهم أيضاً في العلم والفضل، وشتان ما بين دندنة النحل وألحان معبد، ومن هنا قال العلامة الطيبي: إن هذا القول أحسن الأقوال، بل لا قول غيره، ولا معول إلا عليه، لأنه مقتبس من مشكاة النبوة وحضرة الرسالة ﷺ، وأنت قد علمت مني أنه إذا صح الحديث فهو مذهبي، وأراه قد صح، ولذلك أحجم كميّ قلمي عن الجري في ميدان التأويل، كما جرى غيره، والله تعالى الموفق للصواب<sup>١</sup>.

#### موقف العلماء والمفسرين القدامي المضعفين للرواية:

موقف ابن كثير: المدقق يجد أن ابن كثير لم يرضخ لمثل هذه المرويات رغم قول البعض برفعها للنبي الكريم ﷺ واستطاع أن يجد فيها عملاً في سندها وممتنها، يقول رحمه الله: "يذكر لمفسرون هاهنا آثراً، وأحاديث، سأوردها وأبين ما فيها، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك. إن شاء الله. وبه الثقة. أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا، وانه ليس المراد من هذا السياق: آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك: المشركون من ذريته، ولهذا قال الله

<sup>١</sup> الألويسي، روح المعاني، ج ٩، ص ١٤٢-١٤٣.

فَتَعَلَّمِ اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ فذكر آدم وحواء وألاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، وهو كالأستطراد من الشخص إلى الجنس<sup>١</sup> وهذا الذي ذهب إليه ابن كثير في تخريج الحديث والآثار، هو الذي يجب أن يصار إليه، وهو الذي ندين الله عليه. ثم قال رحمه الله مبين علل سند الحديث: "وشاذ" هذا هو: هلال، وشاذ لقبه، والغرض "أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به. ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً، فالله أعلم.

الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه. وحدثنا ابن عليه عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب، قال: سمي آدم ابنه "عبد الحارث".

<sup>١</sup> أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٤، ٢٠٠٤هـ - ١٩٩٩م) ج ٣، ص ٥٢٨.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً، لما عدل عنه<sup>١</sup>. وزاد بالقول رحمه الله متهماً سند الحديث بالعلة القادحة: "وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو، ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله، وورعه. فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب: من آمن منهم مثل: كعب، أو وهب بن منبه وغيرهما، والله أعلم"<sup>٢</sup>.

بهذا الموقف اعتبر ابن كثير فارس هذه الحلبة، فقد نقد المرويات نقداً علمياً طيباً، على مناهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة، وبين أصل هذه المرويات، وأن مرجعها إلى الإسرائيليات. وبالتالي فموقف ابن كثير المضعف للرواية يمتناً أشدّ قوة من موقف الذين حسدّ نواها وصحّحوها، وذلك للأسباب الآتية:

<sup>١</sup> إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ) ج ٢، ص ٢٧٥.

<sup>٢</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٧٦.

١. لو كان المراد إبليس لقال: (أشركون من لا يخلق شيئاً)، ولم يقل (ما لا يخلق شيئاً)، لأن العاقل إنما يذكر بصيغة «من» لا بصيغة «ما».
٢. أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال عليه السلام: ﴿مَ الْأَسْمَاءُ كُتِبَتْ لَهَا﴾ [البقرة: ٣١] فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحرث فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحرث كيف سمى ولد نفسه بعد الحرث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم؟
٣. أن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لجزره وأنكر عليه أشد الإنكار. فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله: وَعَلَّمَهُمَّ ﴿دَمَ الْأَسْمَاءُ كُتِبَتْ لَهَا﴾ [البقرة: ٣١] وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس، كيف لم يتنبه لهذا القدر وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها.
- موقف الزمخشري: ومن الذين وألوا هذه الآية تأيلاً يتفق وعصمة الأنبياء

في عدم جواز إسناد الشرك إليهم، كالزخشي، الذي قَالَ المضمَّيرَ في لَهُمْ آتَايُوا لَنَا كُلَّ لَمَّةٍ كُؤُنِيَّةٍ تَنَاسَلُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ آدَمَ وَحَوَاءَ بريثان من الشرك"<sup>١</sup>. فهو تماماً أعرض عن ذكر هذه المرويَّات.

**موقف الفخر الرازي:** أظهر الرازي رأيه بكل وضوح نافيةً الشرك عن آدم وحواء، وأول الرواية بعدد من التأويلات اخترت منها اثنين، قال رحمه الله: "إذا عرفت هذا فنقول: في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة:

**التأويل الأول:** ما ذكره القفال فقال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما لكن آتيتنا ولداً صالحاً سوياً لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك. فلما آتاهما الله ولداً صالحاً سوياً، جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما، لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطباع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول

<sup>١</sup> أبو القاسم محمود بن عمر الزخشي الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج ٢، ص ١٧٦.

عبدة الأصنام، ثم قال تعالَى: ﴿اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد.

**التأويل الثاني:** بأن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، وهم زوجان من آل قصي، حيث آتاهما الله ما طلبا من الولد الصالح السوي ثم جعلاهما شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد اللات، وجعل الضمير في ﴿يُشْرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك<sup>١</sup>.

**موقف القرطبي:** بعض المفسرين عرض لها، ثم بين عدم ارتضائه لها، وذلك كما صنع القرطبي في تفسيره، فقال: ونحو هذا مذكور في ضعيف الحديث، وفي الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات كثير ليس لها إثبات، فلا يعول عليها من له قلب، فإِذْ آدَمُ وَحَوَاءُ نَوَجَّرَهُمَا بِاللَّهِ الْغُرُورَ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، على أنه قد سطر، وكتب، قال: قال رسول الله

<sup>١</sup> انظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٥٦٠٦هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، قدم له: هاني الحاج، وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م) ج ١٥، ص ٧١. بتصرف بسيط.

ﷺ: "خدعهما مرتين"<sup>١</sup> قال زيد: خدعهما في الجنة، وخدعهما في الارض"<sup>٢</sup>. وهذا الخبر غير ثابت عن رسول الله ﷺ غير أنه موجود في الطبري<sup>٣</sup> وفي الدر المنثور للسيوطي<sup>٤</sup> والماوردي<sup>٥</sup> وغيرهم.  
من مواقف المفسرين المعاصرين:

كثرت العلماء والمفسرون المعاصرين الذين اختاروا تنزيه آدم وحواء عن الشرك،  
نختار منهم الآتي:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٥٦٧١هـ)  
الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سميح البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)  
أبو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى : ٣٢٧هـ)، تفسير  
القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب (صيدا: المكتبة  
العصرية، د.ت) ج ٥، ص ١٦٣٥، حديث رقم: ٨٦٦٤.

أحمد بن حنبل بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ)، جامع البيان في  
تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ج ١٣،  
ص ٣١٨.

أبو عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م) ج ٣، ص ٦٢٤.  
أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد  
الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ج ٢، ص ٢٨٦.



موقف رشيد رضا: قال رشيد رضا في تفسير المنار فَأَهْنِضْهُ! أَلَمْ عَنَى  
عَامًّا لَا خَاصًّا بِاللَّهِ رِزْسَادًا نَفِيًّا لِأَبْوَالِئِهِ، جَوَائِنِ الْجِنْسِ لَا فَرْدَيْنِ  
مُعَيَّنَيْنِ<sup>١</sup>،

موقف ابن عاشور: اعتقد ابن عاشور<sup>٢</sup> أن الخطاب في الآية يتحدث عن  
مشركي قريش.

موقف سيد قطب: أبرز سيد قطب موقفه بوضوح، حول نزاهة آدم وحواء،  
فهو لم يتردد أن يحكم على التأويلات التي انخدع بها كثير من المفسرين أنها  
مجرد مرويات إسرائيلية، يقول رحمه الله: "إن بعض الروايات في التفسير تذكر  
هذه القصة على أنها قصة حقيقية وقعت لآدم وحواء.. إذ كان أبناؤهما  
يولدون مشوهين، فجاء إليهما الشيطان، فأغرى حواء أن تسمي ما في  
بطنها «عبد الحارث».. والحارث اسم لإبليس، ليولد صحيحاً ويعيش؛  
ففعلت وأغرت آدم معها! وظاهر ما في هذه الرواية من طابع  
إسرائيلي.. ذلك أن التصور الإسرائيلي المسيحي - كما حرفوا ديانتهم - هو  
الذي يلقي عبء الغواية على حواء وهو مخالف تماماً للتصور الإسلامي

<sup>١</sup> محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير المنار أو تفسير الكتاب الحكيم، (د.م: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م) ج ٩،  
ص ٤٣٢.

<sup>٢</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٨٣ - ٣٨٧.

الصحيح" <sup>١</sup>. ثم نختتمها بموقف وهبة الزحيلي في تفسيره، حيث قال: "والخلاصة: إن الشرك نسب إلى آدم وحواء، والمراد به أولادهما، كاليهود والنصارى والمشركين لأن آدم وزوجته لم يكونا مشركين" <sup>٢</sup>.  
وقد عظم الإشكال بما ورد من أن الحديث مرفوع عن بعض الصحابة والتابعين، ففي تفسيره قوله تعالى ﴿كَانَ فِي مِثْلِهِ لَمَثَلٌ﴾ في قوله ﴿فَمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

**نتائج البحث:** إن من النتائج التي توصل إليها هذا البحث ما يلي:

١. إن إحال المرويات الإسرائيلية في كتب التفسير، هدفه إفساديٌ بحت لتصورنا الإسلامي، ينتج عنه قلة توكير ضعاف الإيمان لله عز وجل، لدرجة أنهم لا يقدرونه حق تقديره، وأن وجودها في كتب تراثنا بمثابة صدام أو تصارع لا ينتهي بين تصورنا الإسلامي الصحيح لله وملائكته ورسله، وبين التصور اليهودي والإسرائيلي.

<sup>١</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ٣٣٨.

<sup>٢</sup> وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط ٢، ١٤١٨هـ)، ج ٩، ص ١٩٩.

٢. لقد كانت المرويات الإسرائيلية تُدس في التفسير لتؤسس عقيدة باطلة وتصوراً إسلامياً مشوهاً في أذهان المسلمين حول الذات الإلهية وملائكته وأنبيائه، وهي مقولات كثيرة ترتبط بالمستقبل القريب والبعيد وإلى قيام الساعة.
٣. مصطلح الإسرائيليات عرف منذ أن بدأ علماء المسلمين بتوسيع بحوث التفسير والحديث النبوي الشريف. وقد كان التحذير من الوقوع في هذا الأمر قد صاحب هؤلاء العلماء منذ بداية القرن الهجري الأول.
٤. إن غالبية المسلمين الدارسين والباحثين يعرفون بشكل عام ماذا تعني الإسرائيليات على الرغم من أن هذا المفهوم فيه من الضبابية والتشويش ما يجعل الكثيرين من أبناء أمتنا الإسلامية يقعون في تصديق بعض الإسرائيليات وهم غافلون غير منتبهين.
٥. إن تخلص الكتب الإسلامية من الإسرائيليات وهذه الانحرافات الفكرية لأمر تنوء به كواهل عشرات الجماعات من أولى العزم. وخصوصاً المهتمين بالمجال التفسيري، فعليهم بالبحوث الجماعية التي تخلص كتبنا التفسيرية من هذا الركام العفن.
٦. كثير منّا ينفر من الإسرائيليات إذا مرّت معه في

كتب التفسير لأنها إسرائيلية، لا لأنها خالفت نصوصاً شرعية، أو مسلمات عقديّة، وهذا خطأ منهجي، ناتج عن التصور القاصر للإسرائيليات في كتب التفسير.

٧. بعض المفسرين ينقلون في تفاسيرهم من التوراة مباشرة، كالفخر الرازي، وابن كثير، وابن عاشور، وغيرهم، بل نقل ابن عاشور في تفسيره لآية (٢٠) من سورة المؤمنون عن التوراة، وعن أساطير اليونان وإلياذتهم لهوميروس. !!

٨. هناك فرق بين أن يقال: يجوز رواية الإسرائيليات، والقول بقبول جميع الإسرائيليات، والقول بالقبول لا يقول به أحد، والقول الأول مأخوذ من منهج مفسري السلف (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين) الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد.

كتبه: الدكتور رضوان جمال الأطرش

قسم دراسات القرآن والسنة

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

